دواعي التنمُّر في شعر ابن الرومي

إعداد

أ.د. عامر صلّال راهي
جامعة المثنى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
م.م. زهراء إبراهيم رؤوف
جامعة المثنى/ كلية الطب البيطري

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا
Islamic University of Minnesota
المركز الرئيسي IUM

الملخص:

التنمر من المشكلات الاجتماعية العالية الخطورة التي واجهتها المجتمعات في مختلف العصور والأمكنة، وقد أدّت إلى مخاطر نفسية جمّة للأفراد كونه يمثل نوعًا من السلوك السيء الذي يصدر باستمرار من الأشخاص الموجودين في المحيط الاجتماعي وتختلف ماهية تلك الإساءة السلوكية ما بين إساءة لفظية أو جسدية أو اجتماعية أو نفسية، تسبب المضايقات والألم لمن يتعرض لها.

وقد رامت هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على تلك الظاهرة واستقراء دوافعها شعريًا لدى واحد من أعلام الشعر العباسي وجهابذته الذي كان مع فرط قريضه وتوقّد ملكته الشعرية ذا عقلية غريبة، ومن الشعراء القلائل الذين لا يشقّ لهم غبار في سخريتهم وتنمّرهم، حتى صار مضرب مثلٍ في هجائه العنيف المصطبغ بعدوانية تنمرية جلية لكل من يتصفح ديوان ابن الرومي فحادت عنه الدنيا وتكأدته الحياة بشظفها فباشرته ببؤسها؛ ومن هنا فقد جاء تنمّره ترجمةً حيّة لواقعه المرير وشعوره بالخيبة التي تعرّض لها-بوصفه إنسانًا- تارةً، وتعبيرًا عن استياء محرومٍ كان يُمنّي النفس بحياة كريمة تتساوق ومنزلته الرفيعة ومقامه العالي في ركب شعراء عصره -بوصفه شاعرًا- تارةً أخرى.

جرّاء ذلك فقد كان ابن الرومي يعيش صراعًا محتدمًا بين طمعه في المال، وبين مخاوفه وطيرته الزائدة، وهكذا فقد انعكست معطيات هذا الوضع سلبًا على صوره الشعرية وعاطفته؛ إذ غدت صلته بأفراد مجتمعه كالزئبق تتأثر بأدنى درجات الغيرة والحسد؛ ومن ثم انسحبت على شخصيته التي اتسمت بشعورها الدائم بالضعف والعجز فإذا لم تنل ما تريده من عطاء انقلبت في لمح البصر هاجيةً ساخرةً متنمّرةً. وهكذا وجدنا القصيدة التنمرية لديه نادرًا ما تخلو من الصدق بشقّيه: الفني والواقعي الأمر الذي مكّنها من الوصول إلى متلقيها بالكيفية الشاعرية ذاتها من حيث مطابقتها لوجدانه ومعبّرة عن مشاعره من

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

غير تكلّف بصرف النظر عن مطابقتها للواقع بكل حيثياته، وهذا هو ديدن رسامي الكاريكاتور

الكلمات المفتاحية: ظاهرة- التنمر- شعر- ابن الرومي- العصر العباسي

Abstract:

Bullying is one of the high-risk social problems faced by societies in different eras and places, and it has led to great psychological risks for individuals as it represents a type of bad behavior that is constantly issued by people in the social environment and the nature of that behavioral abuse varies between verbal, physical, social or psychological abuse, causing harassment and pain to those who are exposed to it.

This research paper threw highlighting this phenomenon and extrapolating its poetry poetry in one of the flags of Abbasid poetry and his scratching, which was with his excessive jino The stained violent is a clear bullied aggression for everyone who browses the Diwan of Ibn Al -Roumi, so the world was unable to do it, and life was destroyed by its weakness, so it started it with its misery; Hence, his virginity came as a vivid translation of his bitter reality and his feeling of disappointment that he was exposed to- as a human being- sometimes, and an expression of dismissed discontent that he would wish the soul a decent life that is consistent with his high

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

status and his high position in the rides of his poets- as a poet- at other times.

As a result, Ibn Al -Roumi was living a struggle between his greed for money, and his excessive fears and birds, and thus the data of this situation reflected negatively on his poetic forms and emotion; As his connection with members of his community, such as mercury is affected by the lowest degrees of jealousy and envy; Then she withdrew from his personality, which was characterized by her constant feeling of weakness and impotence. Thus, we found the blogging poem rarely without honesty in its two parts: the artistic and realistic, which enabled it to reach its recipients in the same poetic manner in terms of its identification of its conscience and expressing his feelings without costing, regardless of its conformity with reality in all its merits.

Keywords: phenomenon - bullying - poetry - Ibn al-Rumi - Abbasid era

المقدمة

ممّا لاشكّ فيه يعدّ التنمّر من القضايا التي حُظيت باهتمام كبير من علماء النفس والاجتماع على السواء؛ بالنظر لكونه يقوم على مجموعة من المضايقات التي يمارسها بعض أفراد المجتمع أو شرائحه على بعضهم الآخر، ممّا يعطي شكلاً من الرفض الاجتماعي لانتماء المقهورين ضمن هذا المجتمع ومن ثمة عدم إمكانية اندماجهم داخله؛ نتيجة ممارسة هكذا سلوكيات عنيفة من بعض الأفراد لغرض الهيمنة على أفراد آخرين، بمعية إقصائهم وتهميشهم من الجماعة ممّا يفضي بالفرد إلى الانسحاب من التشكيلة الاجتماعية أو المحيط المنخرط به، نتيجة لهذا التقزيم النفسي الممارس عليه بوصفه الضحيةً [1].

لقد كان ابن الرومي مع فرط قريضه وتوقّد ملكته الشعرية ذا عقلية غريبة، كأنّ به خَولعٌ، وحين الاستنامة والسكينة تجده أريب حصيف، لا يخاض غمره بالحِكم، ولا يُنزف بحره بساحر الكلم؛ إلّا أنّه حاد المزاج، سريع الانفعال، شكِسُ الطبع؛ فإذا ما استشاطه مستشيطٌ عدِم حِجاه، وأقدمَ على وجهه من غير مبالاة لأعراف وعادات وقيم، ولا مستوخم غِبَّ أمرهِ؛ إذ يتريث الرجل العاقل داخله ويندفع الآخر الأولق، فتجده مرَّ اللسان أليمه حتى في عتبه مع كبراء عصره جرّاء عصبيته المغالى بها، ونفسه المكدودة بصروف الزمان وتقلّباته وهذا ما جعل قريضه ولاسيما الهجائي يتزيّا بالفكاهة الساخرة والتنمّر اللاذع على السواء، وهذان العنصران بهما حاجة إلى الفطنة، والحذلقة، وحضور البداهة مشفوعةً بدقة الملاحظة، وحسن التصوير، وهذه المعطيات جميعًا لمسناها حاضرة في شعر شاعرنا، وكانت غلوائه في الاقذاع المصطبغ بالسوداوية القاتمة إزاء الذات والمحيط الاجتماعي مدعاةً لتناول الدواعي الكامنة وراء تنمّره المقذع.(obaid,et,٢٠٢١)

١) ينظر: التنمر الاجتماعي، المفهوم والتأسيسات العلمية السوسيولوجية الشارحة: مليكة حاكم: ٥١٨

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

ابن الرومي: مطرقة الهجاء.. وسندان التنمّر

يعدّ الهجاء سبيل التنمّر أو قُل رديفه؛ كونه يعبّر عن مراد الشاعر في سخطه واستهزائه واشمئزازه من الآخرين، وذكر مثالبهم ونقض فضائلهم؛ ومن ثمّ فالهجاء والتنمّر وجهان لعملة واحدة فهما يلتقيان في المادة أو الطريقة فكل من يهجو فهو يتنمّر، والعكس بالعكس؛ فكلاهما يمثّلان سلوكًا متعمّدًا إزاء الآخر وانّهما((من قبيل الطعن الشخصي الذي يراد به الحطّ من كرامة الشخص أو كرامة أهله، لا لقصد اصلاحيّ بل تشفّيًا أو تفاخرًا)) [١] ، حتّى يحقّ لنا وسمهما-الهجاء والتنمّر- بـ[فن الشتم والسباب] على الرغم من تعدّد أشكال التنمّر وصوره وعدم اقتصارها على التلفّظ بالكلمات النابية والعبارات الجارحة من غير إعارة أدنى اهتمام لمشاعر الضحية/المتنمّر عليه فحسب، بل قد تصل أحيانًا إلى العنف الجسدي، أو القتل والإذلال البشري [٢] ؛ من دون مبالاة بسلبية هذه الأمور والعواقب الوخيمة المترتبة عليها؛ وهما-الهجاء والتنمّر- في نهاية المطاف يمثّلان تفاعلاً يحصل بين الشخصين الشاعر(المتنمر) والمهجو(الضحية) ويظهران في سياق بيئي اجتماعي من أجل((فرض السيطرة الضارّة على الآخرين التي عادة ما يستفيد منها المتنمر في سلوكه هذا من ضحاياه وهم في العادة من الأقران/الأصدقاء)) [٣] ، بصرف النظر عن انعكاساته النفسية والجسدية على الضحية؛ نتيجةً لعدم تكافؤ القوة بين المتنمر والضحية.

وابن الرومي من الشعراء القلائل الذين لا يشقّ لهم غبار في سخريتهم وتنمّرهم، حتى صار يقال فيه((أهجى من ابن الرومي)) [٤] ، وقد جاء هذا التنمّر كردّة فعل لما واجهه في مجتمعه من تحجيم وتهميش؛ ومن ثمّ فما تنمّره-أحيانًا-إلّا بمثابة انتقام اجتماعي وقصاص زاجر لكلّ الجاحدين الغامطين لشعره ممّن جسّدَ مساوئهم وأخلاقهم شعريًا من أفراد؛ فجاء تنمّره ترجمةً لحاجاته الروحية التي تعكس واقعه المرير وشعوره بالخيبة التي تعرّض لها في حياته من جهة،

١) أمراء الشعر العربي في العصر العباسي: أنيس المقدسي: ٢٩٠.
٢) ينظر: نفسه: ٥١٩.
٣)سيكولوجية التنمر بين النظرية والعلاج: مسعد نجاح أبو الديار: ٣٣.
٤) العمدة في محاسن الشعر: ابن رشيق: ٢٥١/١.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

وتعبيرًا عن استياء محرومٍ كان يُمنّي النفس بحياة كريمة تتساوق ومنزلته الرفيعة ومقامه العالي في ركب شعراء عصره من جهة أخرى، فسارت معه الرياح بما لا تشتهيه سفنه إذ لم يظفر من تلك الحياة والمنزلة بشيءٍ خلا مباشرة البؤس له، فلجأ إلى لسانه للذّود عن حقوقه التي تبدّدت بين قادةٍ وأمراء، ونقّادٍ وشعراء عمدوا إلى إيذائه سواء عن طريق الاستهانة بشعره وشخصه أم بحرمانه من العطاء، فكان يتألم لذلك فنصيبه شظف العيش وسواه من الشعراء يرفلون بالنعيم والجوائز، فابن الرومي يرى في تنمّره على الناس وهجائه إيّاهم حقًّا لا يشوبه باطل في كلّ ما قاله ويقوله فيهم [1] :

قيلَ لِي: لَمْ ذَمَمْتَ كُلَّ البرايا هَجَوتَ الأَنَامَ هَجْوًا قَبِيحَا؟
قلْتُ: هَبْ أَنَنِي كَذَبْتُ عَلَيْهِم فَأَرُونِي مَنْ يَسْتَحِقُّ الْمَدِيحَا؟

فبني البشر من وجهة نظره ينوؤون بالرذائل والموبقات، وعلائم الضعة والتشويه والمنكر، حتى بات أن ليس هناك من يستحق المديح منهم، ولعلّه غالى في تنمّره اللاذع الموجع بحقّ أبناء جلدته حتى أخرجهم عن نطاق الإنسانية، وهذه النظرة السوداوية لابن الرومي إزاء مجتمعه دفعتنا إلى الوقوف عن كثب في ورقتنا البحثية هذه على المسببات والدوافع الرئيسة لتنمّره، والمتمثّلة بالآتي:

١- الاضطراب النفسي:

في ضوء المعرفة السيرية لشخصية ابن الرومي، التي انمازت بمزاجها الشاذ وأطوارها الغريبة، فممّا لا يقبل الشّك أنّ شاعرنا يمثّل «حالة طبية/مرضية» لم تقتصر أسبابها على عصره أو بلدته، ولا بيئته أو تربيته، ولا نوع التعليم الذي أصابه، ولا سواها من العوامل البيئة، إنّما كانت في أغلبها مؤثرات جسمانية،((وما أحسبنا مخطئين، اذا قلنا: إنّ كلّ شيء في جسمه كان مضطربًا: جهاز العصبي كان مضطربًا، وجهازه الجنسي كذلك، وجهازه الغدي أيضًا، فلا غرو أن كان عقله أيضًا

١) ديوان ابن الرومي: شرح أ.أحمد حسن بسج: ٣٦١/١.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

مختلاً)) [1] ، وبتضامّ هذه الحقيقة السوسيولوجية مع الحقيقة العلمية إذ يعدّ علماء النفس التنمّر بوصفه سلوكًا مرضيًا غير سوي للنمو النفسي الخاص بالفرد، يمارسه المتنمِّر ضدّ الضحية من أجل الإبقاء على تعاظمه بين مجموعة الأقران والرفاق، مع إرضائه لنفسيته ذات النمو المضطرب، وهذا ما نلمحه في تنمّره على أبي حفص الورّاق الشاعر؛ حينما وصله خبر هجائه إياه، فقال [2] :

قالوا هجاك أبو حفْصٍ، فقلتُ لهم أعاش بعدي سليمان بن داوُودِ
أنَّى فهمتم كلام الطير ويحكُمُ والتَرْجُمان الذي سمَّيْتُهُ مُودي
لو كان حيّاً سليمانُ الذي اعترفتْ له الغُواةُ وألقتْ بالمقاليدِ
أعياه شعْرُ أبي حفص بِلُكنَتِهِ حتى يُبَلَّدَ فيه أيَّ تبليدِ

نلحظ أنّ تنمّر ابن الرومي قد حدا به تجاوز حدود اللياقة الأدبية التي يقتضيها ديننا الحنيف في عدم النيل من الأنبياء والرُّسل أو الطعن والمساس بنبوتهم؛ وكما هو واضح قد وصف النبي سليمان عليه السلام بالبلادة وهذا غير جائز شرعًا، وفساد المعنى ظاهر في النصّ كظهور لكنَةِ أبي حفص التي يراها ابن الرومي قد أعيت سليمان النبي وهو العالم بمنطق الطير من أن يفقه شعر الوراق، فهذا التعالي على أنبياء الله عليهم السلام والحطّ من قدرهم لا يتأتى إلّا من شخصٍ يعاني اضطرابات ذهانية لها أثرها البليغ على شخصية المصاب وما يصاحبها من انحلالٍ وتفكّك قد تفضي أحيانًا إلى اضطربات حادّة في الوظائف كافة والعمليات العقلية كالتفكير والادراك؛ إذ تعترض الشخصية المصابة مجموعة من الهذيانات والمعتقدات والأفكار الخاطئة عن مشاعر العظمة والاضطهاد مع الاحتفاظ بالتفكير المنطقي، أي أنّ الشخصية على الرغم من وجود المرض تكون متماسكة ومنتظمة نسبيًا، وقد يبدو تبرير المريض مقنعاً واستدلاله سليماً لولا استناده إلى مقدمات باطلة وفروض متوهمة ومعتقدات خاطئة [3] ؛ وهذه

١) ثقافة الناقد الادبي: د.محمد النويهي: ١٢٩
٢) الديوان: ١/ ٤٩٨.
٣) ينظر: خصائص رسوم المضطربين بالبارانويا: د. مدحت وليم بنى: ١٢٢.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

الحال تصدق على ابن الرومي في ما أفصح عنه النصّ التي لربّما تكون لونًا من البارانويا وهو أحد الأمراض التي يعاني فيها الإنسان من معتقدات ومشاعر لا أساس لها، تسيطر على تفكيره بحيث يستحيل عليه الفكاك منها، وأهم صور هذه المعتقدات أنه مضطهد من أحد الأفراد(أبي حفص)، أو اعتقاده بأنه من أحد العظماء أو شخصيات التاريخية لمّا صار يصف نبي الله سليمان عليه السلام بالتبلّد، وهذا ما يعرف بجنون العظمة لأنّ المريض هنا يكون تحت سيطرة أفكار متسلّطة فيعتقد نفسه أنه نبي أو شيء أعظم من ذلك فيشعر المصاب بالاستعلاء [1] .

وقد صرّح النقّاد بسقامة عقل ابن الرومي واختلاله، فضلًا عن سذاجته؛ إذ كان((ساذجًا خاليًا من الحكمة العملية... كان مليئًا بالمخاوف السخيفة والأطوار الغريبة الشاذة. ولكن لا يحسبن ... أن معنى هذا كلّه أنّه كان غبيًا أو أنّه كان جاهلاً. فابن الرومي كان ذكيًا حادّ الذكاء، وكان عالمًا واسع العلم ، وقد أنتج ذكاؤه الطبيعي الحادّ وعلمه الواسع المكتسب لديه عمق التفكير وقوة الاستدلال والتحليل)) [2] ، وكأنّنا به كان مصابًا بما يسمّيه علماء النفس الخبل المبكر، أو خبل الشباب، أو جنون المراهقة والفصام، أحد الأمراض الذهانية التي يحدث معها اضطرابات سلوكية أو فكرية، واضطرابات الإدارة، وينماز هكذا مرض بانسحاب المصاب من الواقع والتدهور في الشخصية مع اختلال شديد في التفكير والوجدان والإدراك، ويرجع حدوثه إلى جملة عوامل منها وراثية، وأخرى نفسية نتيجة تعرّضه لصدمة انفعالية قاسية تجعله شخصًا حسّاسًا جداً لا يتحمّل ضغوطات الحياة فيلجأ إلى التنمّر بوصفه متنفّسًا له لتفريغ كل ضغوطاته [3] ، ولعلّ هكذا صدمات نفسية قوية جدًا تعرّض لها شاعرنا كانت مدعاةً لتطيّره الذي بسببه شاب شِعره الكثير من الهجاء المقذع المصطبغ بالتنمّر؛ فقد عاش ابن الرومي تجربة قاسية جعلته يلجأ إلى الهجاء؛ إذ إنّ حياته كانت سلسلة من

---

١) ينظر: تدابير الأخذ في القانون العقوبات وقانون الإجراءات الجزائية فريد راهم: ٧١.
٢) ثقافة الناقد الادبي: ١٥٤-١٥٥.
٣) الاضطرابات النفسية: د عبد اللطيف حسين: ١٦٣.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

الكوارث والنكبات التي توالت عليه تباعًا، فلم تترك له فرصة للتفاؤل، فأشعاره كانت انعكاسًا لما مرّ به من فقدان ثروته وأملاكه التي تركها والده، إلى الموت الذي قضى على أفراد عائلته بالتدريج فبعد وفاة والده توفّيت والدته ثم أخوه الأكبر وخالته، وحين قرّر أن ينشأ عائلة جديدة يعيش في كنفها فجأة خطف الموت زوجته وأولاده الثلاثة، ولابدّ أنّ هذه الضغوطات كانت سببًا في الجفوة التي حصلت بين الشاعر ومتلقيه؛ فازدادت حالة ابن الرومي تأزّمًا بمرور الأيام فصار ضيق الصدر، غريب الأطوار، سريع التغيّر والانقلاب، سوادي المزاج، انطوائي النفس، كثير التطيّر والظنّ والقلق، في أعصابه شيء من الاختلال والضعف، شديد الخوف، لا يستقر على حالة فمن يلقاه يراه كالمتوجّس المذعور، فسرعان ما يمدح شخصاً حتى ما يلبث ان ينقلب هاجيًا إياه [1] ، وهو الأمر الذي جعل ابن الرومي سخريةً في أعين العقلاء [2] ، وهذا ما دفع عبيد الله بن سليمان بن وهب موصّيًا ابنه الوزير القاسم-الذي كان مغرمًا بشعر ابن الرومي مستظرفًا له، محسنًا إليه- إلى القول:((أرى ما يسوءني ولا يسرني أرى رجلًا صحيح الشعر، سقيم العقل، ومثل هذا لا تؤمن بوادره؛ وأقل غضبة يغضبها تبقي في أعراضنا ما لا يغسله الدهر، والرأي ابعاده)) [3] ، ومن البدهي هكذا صفات جعلته شاعرًا غير محظوظ كأقرانه من شعراء عصره الذين وجدوا قبولًا واستحسانًا لدى الخلفاء وأعوان الدولة، فقد عاصر ابن الرومي ثمانية من الخلفاء العباسيين، ومعظمهم رفض مديحه وردّوا قصائده عليه، وامتنعوا عن مكافأته وبذل العطاء له، فأشار إلى صنيعهم هذا بقوله [4] :

قد بُلينا في دهرنا بملوكٍ أدباءٍ - عَلِمْتُهمْ - شعراءِ
إن أجدنا في مدحِهم حسدونا فحُرِمنا منهُمْ ثوابَ الثناءِ
أو أسأنا في مَدْحهم أنَّبونا وهَجَوْا شعرَنا أشدَّ هجاءِ
قد أقاموا نفوسَهم لذوي المدْ حِ مُقامَ الأندادِ والنظراءِ

١) ينظر: العصر العباسي الثاني: د.شوقي ضيف: ٢/ ٢٩٨، والأدب العربي في العصر العباسي: د. ناظم رشيد: ١٣٢.
٢) ينظر: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي: ٢٩١.
٣) جمع الجواهر: أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري: ٢٩٢
٤) الديوان: ١/ ٣١.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

وهنا فابن الرومي يحاول بيان مبرّرات تنمّره على خلفاء عصره هاجيًا إيّاهم، غامزًا إنسانيتهم التي غادرتهم؛ لأنّ الشاعر-بحسب ما يراه ابن الرومي بلسان حال هؤلاء الخلفاء والوزراء- حتى ولو كان في محنة وتحت أي ضغط مهما كان كبيرًا فلابدّ له من إرضاء الأذواق كافة لأنّ النفس البشرية ولاسيما لدى هذه الفئة من ممدوحيه أرباب الطبقة المخملية من السلاطين التي لا تميل إلى البؤس والحزن بل إنّها تنزع إلى السخرية والفكاهة، لذا في قبالة ذلك فقد سوّغ الشاعر لنفسه التنمّر تنفيسًا لحنقه عليهم؛ لأنهم لم يرعووا في مواساته بعدما نالت منه خطوبٌ فادحةٌ أفقدته الصواب، وزجته في لُجّة عميقة من التشاؤم والتطيّر، وكان نهمًا للحياة وطيّباتها، فطلبها بشدّة، واحتاج إلى المال الجزيل، فلم يجده، كما لم يجد من البشر تقديرًا، ولم يلقَ إلاّ هزءًا وسخريّةً، فسخط عليهم، وتأفّف من دهره، فحاول شاعرنا تناسي ضعفه العصبي واضطرابه النفسي عن طريق إلقاء تبعاته التنمرية في بعض الأحيان على أرباب العاهات نحو سخريته بامرئٍ أحدب، وآخر أصلع، وثالث أعور [1] بوصفه نوعًا من التعويض للثقة المفقودة بالنفس والخجل الاجتماعي الذي كان يستشعره جراء طيرته، أو قُل أن هذا اللون من التنمّر بمّن لا حول لهم ولا قوة من ذوي الاحتياجات إنما هو ضرب من الاسقاط النفسي الذي لجأ إليه ابن الرومي كونه يمثّل حيلة دفاعية من الحيل النفسية اللاشعورية((تتلخص في أن ينسب الشخص عيوبه ومناقصه ورغباته المستكرهة ومخاوفه المكبوتة التي لا يعترف بها إلى غيره من الناس أو الأشياء أو الأقدار أو سوء الطالع، وذلك تنزيهًا ما لنفسه وتخفيفًا ممّا يشعر به من القلق أو الخجل أو النقص أو الذنب)) [2] ، ومن مصاديق الاسقاط التنمّري، قول ابن الرومي في العميان [3] :

---

١) ينظر: الديوان: ٢٦/١، ٢٦٤/١.
٢) أصول علم النفس: د.أحمد عزت الراجح: ٤٧٨.
٣) الديوان: ٤٤٢/١.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

مجالسة العُمْي تُعْدي العمى فلا تَشهدنَّ لهمُ مَشْهدا
فإن أنت شاهدْتَهم مرةً فكن مِنهُمُ الأبعد الأبعدا
بحيث تفوتُ إشاراتهمْ وإلاّ فإنك منهم غدا
لأن إشاراتهم لا تزا ل قد نفضت نحو عَيْنٍ يدا
فَيُعْمونَ من شئت في ساعة ولم يَحْتسبْ قَطُّ أن يَرْمَدا
ألا رُبَّ عين دنت منهمُ فمدُّوا لها ليلها سرمدا
وأضحت ترى كل ما حولها لظلمتها جبلًا أسودا

فابن الرومي أسقط عن طريق العميان سماته الذاتية، وأفكاره، وعواطفه، وميوله على عمى بصيرة مجتمعه وليس بصرهم فحسب، لما كان الكثير من ممدوحيه يخشون مخالطته وحضوره مجالسهم فابتعدوا عنه كي لا يعديهم بتطيّره أو اضطراباته النفسية الجمّة، ومعلوم استحالة هكذا اضطرابات ان تكون معدية كما هي حال عدم إمكانية صيرورة العمى معديًا، لذا عمد إلى التركيز على حركة العميان وإشاراتهم مضخّمًا إيّاها من حيث كونهم المتسبّب الفعلي بعدوى العمى فمدوا لمن يقرب منهم ليلاً سرمديًا على الرغم من أنّهم غير مسؤولين عمَا صاروا إليه من عاهة من جهة؛ ولأن العيون الأخرى هي من بادرت بالدنوّ منهم من جهة أخرى، فما يصدر عن العميان من حركات خاطئة فإنّما هي تنبعُ منهم بشكلٍ لاإراديٍّ، فضلاً عن عدم تمكّنهم من رؤية من يجلس إلى جوارهم صاروا يخالون كل ما حولهم من أجسام قابلة للاصطدام بهم كجبالٍ شواهق كناية عن عماهم الدامس، فابن الرّومي حينما عمد إلى رسم تلك الصورة التنمرية الساخرة التي جاءت بصورة عملية هجومية شنّها على شريحة العميان عبر مفارقاتها الضدّيّة «فيعمون/لم يحتسب أن يرمدا»، إنما كان يكمن وراءها غاية يبتغي من ورائها حماية نفسه من كل ما يلصقه به محيطه من عيوب ونقائص وتصرّفات مستهجنة، كما أنّها تمثّل في بُعدها الآخر عملية لوم للآخرين على ما فشل فيه ابن الرومي من تحقيق التواءم مع متلقيه بسبب ما وضعوه أمامه من عراقيل

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

وما أوقعوه فيه من زلّات أو أخطاء هو في منأى عنها، وهذا ما عزّز طيرته من المحيط الاجتماعي بأسره فرفع بوجهه شعار((الفأل لسان الزمان والطيرة عنوان الحدثان)) [١] ، وقد احتجّ لها كثيرًا في شعره.

٢. الغيرة والحسد

الغيرة، ثوران النفس لخير كان أم شرّ، وأسبابها عديدة، منها: الحميّة والأنفة، أو التنافس والحسد، أو قد تكون بسبب وجود صراعات خفية في الحياة النفسية للفرد وعلاقته بالآخرين حتى يغلب عليهم السخط وعدم الرضا عنه، وكذلك شعور المرء بالذلّة والمهانة وعدم ثقته بنفسه تدفعه إلى التنمّر، أو شعوره بالنقص والانطواء والعزلة عن الحياة الاجتماعية، و ميله نحو العدوانية بأشكالها المختلفة من مشاجرات، ونوبات غضب، وعناد بسبب صعوبة تأقلمه مع محيطه والبيئة التي تكتنفه [٢] ، لذا فقد وجّه ابن الرومي جزءًا كبيرًا من شعره المتنمّر لخصوماته الدائبة مع منافسيه من أخدانه الشعراء الذين وجد في هجائه إيّاهم متنفسًا لما عاناه من تلك الإحباطات الجمّة، ومن الشعراء الذين ناشهم تنمّر ابن الرومي: خالد القحطبي، الذي هجاه بما يناهز الستين قصيدة [٣] ، وأبو حفص الورّاق وقد هجاه بنصف ما هجى به خالد فكان هدفًا رئيسًا آخر لسخريته وتنمّره [٤] ، والبحتري الذي يعدّ من أعظم شعراء العرب يومذاك [٥] ، وأبي العتاهية شاعر الزهد ورائده [٦] ، فضلًا عن تنمّره على بعض الأدباء والعلماء ممّن لم يقدّروا إمكانيته الشعرية، من نحو أحمد ابن أبي طاهر[ابن طيفور [٧]] مؤرخ ومن الكتّاب البلغاء الرواة، صاحب كتاب(بلاغات النساء). والمفضّل بن سلمة عالم في اللغة والأدب له مصنفات في معاني القرآن والأدب، تلميذ ابن الاعرابي، واستاذ الصولي [٨] ، وكانت عامة أهاجي شاعرنا

(١) العمدة في محاسن الشعر: ٥٨/١.
(٢) ينظر الاضطرابات النفسية: ١٩١.
(٣) ينظر: الديوان-على سبيل المثال لا الحصر-: ٥١/١، ٩٥، ١٨٥، ١٣/٢، ١٤٤، ٣٨٨، ٨٨/٣، ٤٨٢، ٥١٨.
(٤) ينظر: نفسه-على سبيل المثال لا الحصر-: ٤٩/١، ٩١، ٢٣٢، ١٢/٢، ٧٧، ١٤٤، ٦٧/٣، ٩٥,
(٥) ينظر: الديوان: ١٧٩/١، ٣٦٣/١.
(٦) ينظر: نفسه: ٥٠٠/٣، ٥١٨/٣.
(٧) ينظر: الأعلام: خير الدين الزركلي: ١/ ١٤١، والديوان: ٥٢/١.
(٨) ينظر: سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي: ١٤/ ٣٦٢، والديوان: ٥٣/١

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

الساخرة تحقير مهجويه وتسخيفهم بالتنمّر عليهم، ومن مصاديق ذلك تنمّره على البحتري وهجائه إيّاه ببائية طويلة جاء فيها [1] :

الحظُّ أعمى ولولا ذاك لم نَرَهُ ... للبحتريِّ بلا عقلٍ ولا حسبِ
وَغْدٌ يَعافُ مديحَ الناسِ كلّهمِ ... ويطلبُ الشُّتْمَ منهم جاهدَ الطلبِ
داءٌ من اللؤم يستشفي الهجاءَ لهُ ... كَذَلِكَ الحَكُّ يَستَشفيه ذو الجَرَبِ
شِعْرٌ يُغير عليه باسلًا بطلًا ... ويُنشدُ الناسَ إياهُ على رِقَبِ
يقولُ مستمعوه الجاهلون به ... أحسنتَ يا أشعر الحُضَّار والغَيَبِ
حتى إذا كفَّ عن غاراته فَلَهُ ... شعرٌ يئنُّ مُقاسيه من الوَصَبِ

فيرى ابن الرومي أنّ الحظ أعمى ولولا ذلك ما نال البحتري ما نال من الشهرة بشعره الغثّ- من وجهة نظره-، زاعمًا أن ليس له فيه شيء خلا الإغارات والسرقات والاستلاب من دواوين أسلافه، بل وصل الحال بشاعرنا أن يستعدي على من يستمعون لشعر البحتري، ومنهم ممدوحه الأثير الوزير العلاء بن صاعد الذي أمّن الطرق من اللصوص، فغمزه بادئ الأمر بالجهل، وهنا نلمح تنمّرًا لفظيًا قائمًا على إطلاق النعوت على الآخرين وتوبيخهم لفظيًا، ثمّ أخذ ابن الرومي يصبُّ عتابًا شديد اللهجة يكتنفه شيءٌ من التنمّر نتيجة الغيرة والحسد وتفضيل الوزير للبحتري وغضّه الطرف عن سرقاته، فيقول [2] :

قل للعلاء أبي عيسى الذي نَصَلَتْ ... به الدواهي نُصولَ الألِّ في رجَبِ
وآمنَ اللَّهُ ليلَ الخائفين بهِ ... بَلْهَ النهارَ وضَمَّ الأمر ذا الشعبِ
أيسرقُ البحتريُّ الناسَ شعرَهُمُ ... جهراً وأنت نَكالُ اللصِّ ذي الرِّيَبِ
نَكِّلْهُ إن أناسًا قبله ركبوا ... بدون ما قد أتاهُ باسقَ الخَشبِ
والحكُم فيه مُبينٌ غيرُ ملتبسٍ ... لو رِيمَ فيه خلافُ الحقِّ لم يُصَبِ
يعيب شعري وما زالت بصيرتُه ... عمياءَ عن كلِّ نورٍ ساطعِ اللَّهبِ

نلحظ لهجة العتاب المرّ للوزير المكتنف بين طيّاته تعييره إيّاه بأنّه كان يخاله كما عُرف وشاعَ عنه حربة للسرّاق وشبّه مدّة توليه للوزارة

(١)الديوان: ١/ ١٨٠-١٨١.
(٢) الديوان: ١/ ١٨١-١٨٢.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

بشهر رجب الأصبّ الذي يحرّم فيه القتال كذلك حرُمت السرقات والاختلاسات فقطع دابرها، وهذا ما أثار استهجان ابن الرومي الناجم من غيرته الحانقة من البحتري، فكيف بابن صاعد-وهو نكال اللصّ- لم يستأصل شأفة هذا السارق/البحتري، وهذا ضرب من التنمّر المعنوي القائم على التجاهل أو اختلاق الأكاذيب، ثم صار ابن الرومي يطالب جهارًا بإيذائه والتنكيل به ليكون عبرةً لسواه من الشعراء السرّاق، وأن لا تأخذه في الحق لومة لائم فحكم التنكيل لا غبار عليه فأدلة الإغارة الشعرية مستبانة في قريض البحتري، وهذا لون من التنمّر الجسدي المتمثّل بإيقاع الأذى والعقاب المصحوب بالتنكيل والضرب للبحتري، فثيمة الغيرة والحسد جلية وتتناسب طرديًا مع شدّة استهانة البحتري بشعره وشخصه وهذا ما نلمسه في آخر النّص إذ كان البحتري يبادل ابن الرومي النقد بشعره، وحرمان ابن صاعد لابن الرومي من عطاياه من جهة أخرى، وهو في كل ذلك يتألم لعثور حظّه؛ إذ يرى الأدنون شعرًا ينالون العطايا، وهو لا يكاد يبلغ اللقمة، فيسخر متنمّرًا من مجتمعه الأعمى برمّته؛ ولعلّ تلك هي((نهاية البؤس والخيبة، ونهاية الحيرة التي لا يهتدي فيها المسكين إلى سبب مريح، فلم يبقَ له من عزاء إلا أن يوقن أن الدنيا هكذا طبعت على ظلم العارفين، ومحاباة الأغبياء)) [1] ، فيقول [2] :

دهرٌ علا قدرُ الوضيع به وهوى الشريف يحطُّهُ شرَفُهْ
كالبحر يرسب فيه لؤلؤُهُ سفلًا وتطفو فوقه جيَفُهْ

كان للتنمّر على الدهر نصيب وافر في قريض ابن الرومي كونه يمثّل عجزه أمام قوة يستحيل التغلّب عليها، لذا لا يكون أمامه سبيل للتنفيس عن أوجاع صروفه وتقلّباته خلا الشعر متنمّرًا عليه، ذامًّا أهيله، فيقول فيهم [3] :

(١) ابن الرومي حياته من شعره: عباس محمود العقّاد: ١٨٥.
(٢) الديوان: ٢/ ٤٠٨.
(٣) نفسه: ٣/ ٤٦٠.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

لَلمادحونَ اليومَ أهلَ زماننا ... أوْلى من الهاجين بالحرمانِ
يا شاعراً أمسى يحوك مديحَه ... في شرِّ جيل شرِّ أهلِ زمانِ
ما تستحق ثوابَ من كابرتَهُ ... ورميته بالإفك والبُهتان
قومٌ تذكِّرهم فضائلَ غيرهم ... فيرَوْن ما فيهم من النقصان
فإذا مدحتَهُم فتحت عليهمُ ... باباً من الحسراتِ والأحزان
فدع اللئامَ فما ثوابُ مديحهم ... إلا ثوابُ عبادةِ الأوثان

حسرة عميقة ينفثها ابن الرومي غيضًا بممدوحيه، الذين يراهم أحطَّ درجةً ممن هجاهم، فيتنمّر عليهم لفظيًا دونما تحفّظٍ أو استثناء لفئة منهم فصار ينعتهم بـ[شرّ جيل- لئام- أوثان]، فمثل هؤلاء غنيمتهم الحرمان والتقرّب إليهم بمثابة الصنمية وضربٍ من الإلحاد، فهم أوثانٌ سدنتهم مادحيهم من الشعراء، وكل شاعرٍ من هؤلاء يروم إعلاء شأن وثنه وتنميق صورته زورًا وباطلًا؛ ونتيجة تنافسهم على ما يستحصلونه من فتات قرابينهم فدبّت الغيرة بينهم من جهة وبين تلك الأصنام من الشخوص من جهة أخرى؛ فصار ذكرُ فضيلةٍ عند أحدهم تخبره بنقائصه، وعليه غدت الحسرة والغيرة مركبة من الطرفين: الشعراء الأفّاكين، والممدوحين الأصنام؛ لأنّ الأفّاكين مدحوا غير المستحقين بشعرهم، وأما الممدوحين فلإيقاظ الشعراء المائنين لنوازع النقص لدى هؤلاء الأصنام.

لربّما وجدنا في تنمّر أبن الرومي من البحتري مسوّغًا كون الأخير قد نافسه على كسبه؛ لكن تنمّره على أبي العتاهية يكاد يحمل بين طيّاته شيئًا من الاستغراب من حيث كينونة العتاهي زاهدًا في دنياه، ولم نقف في المصادر على أنّ الرجل قد نبس ببنت شفة بحقّ ابن الرومي، الذي أطلق العنان للسانه السليط ليقول فيه [1]:

شَهَدَ اللَّهُ وهو عدلٌ رضيٌّ ... أنَّ عبدَ القويِّ عبدٌ قويُّ
آخَذُ الناسِ كلهم لكتَابٍ ... أَخْذَ يَحيى لكنَّ يحيى نبيُّ
وهو يحيى لولا النجاسةُ والجهْـ ... ـلُ وإن لم يَجِيء به زكريُّ

(١) الديوان: ٣/ ٥١٨.

فنلحظ أنّ الشاعر قد غمز أبا العتاهية في شهادته بالله تعالى من جهة، وتناصّه مع قوله سبحانه قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام:((يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ))[مريم:١٢] ونعته للعتاهي بالقوة وهو يضمر في قرارة نفسه ضعف العتاهي وهزله جرّاء الزهد، مشبّهًا إيّاه بيحيى النبي عليه السلام ؛ لكن ابن الرومي سرعان ما جاء بالمفارقة المصطبغة بالتنّمر بعد المدح والثناء عليه في البيتين الأولينِ لمّا نعته بالنجاسة في حين تتطلّب حياة الزهد الطهارة الدائمة لأجل الاعتكاف والعبادة، ثمّ ثنّى الرومي على ضحيته بالجهل لامزًا إياه باسمه؛ إذ إنّ العتاهية مصدرٌ فعله العته ويراد به ضعف العقل ونقصه، وختمه بتنمّره على نسب الشاعر لمّا ذكر[وهو يحيى...لم يجيء به زكريا]،

فزُبدة القول في تنمّر ابن الرّومي على أبي العتاهية إنّما جاء حسدًا لقوة تأثير الأخير وتياره الزهدي في الناس ممّا جعلهم يعكفون عن مديح ابن الرومي كون هكذا مديح يتنافى مع حقيقة الإسلام الداعية إلى نبذ الحياة ومغرياته المادية المتمثّلة بنبذ الغرور والتكبّر، والنفاق والملق، والتبذير والاسراف التي تمثّل الوجه الآخر[السلبي] ولوازم أساسية للمدح، زِدْ على ذلك أنّنا نلمح ثمّة مسكوتًا عنه يقبع وراه تنمّر الرومي على الذات الإلهية وشِبهَ اعتراضٍ حينما اختار ابن الرومي اسمي الجلالة[العدل والرضي] أول النص، وكأنّنا به يرى أنه ليس من العدل أن يكون الزهد سببًا في قطع رزقه القائم على تكسّبه بشعره من جهة، ورضا الربّ الجليل على تصرّف العتاهي في تحكّمه برزق الرومي وحجبه الناس عن بضاعته الشعرية ومن ثم كسادها من جهة أخرى، وعليه فابن الرومي يخاطب العتاهي: فإذا ما كنتَ مستغنيًا عن الدنيا فلا تسعَ الى قطع أرزاق الناس فإن قطع الأرزاق من قطع الاعناق، ولا حجة لقاطع رزق، فمن وجهة نظر ابن الرومي فإنّه يجد في هذا القطع والتضييق على الأرزاق يتنافى مع عدل الله ﷻ ورضاه.

٣- التفكّه والتظّرف

غدت التسليةُ أهم عناوين الحياة العباسية العامة، وأضحى الناس

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

يقصدونها قاطبةً سواء في قصور الخلفاء والأمراء أم في بيوتات المعدمين والمهمشين من شرائح المجتمع الأخرى، إذ كان العامةُ يرغبون إلى تغييب همومَهم خلف أستار التسلية والتندر، وتمكّنت الفكاهةُ بسحرها إلى حلحلة بعضَ العُقَد، وتقريب القلوبَ من بعضها، وفي ظل هذه الأجواء المريدة للمسرَّة والمرح أخذت الفكاهةُ طريقَها إلى قريض الشعراء، ولهذا الشيوع والاستشراء غايات مختلفة على رأسها كسب المال حتى وإن اقتضى الأمر إضحاك الآخرين بالتنمّر على النّفس، ولربّما لم تكن غاية هؤلاء المتفكّين منافسةَ الشِّعر الجاد بشعرهم الفكه أو عرضَ بضاعتهم الشعرية على الملأ في المحافل العامة، قدر ابتياعهم للدعابة والنقدُ الساخر العابر العارض على جناح السرعة لهذه الشائبة أو تلك الوقيعة، وهذا ديدن ابن الرومي من تلك الغايات فكان بحقّ رائد الشعر العربي الفكاهي من دون منازعٍ على اختلاف حقبه، و((أحد اولئك المتميزين الذين كتبوا، لمّ نفسه رغبةً رغبة، ثم غمّسها في الحبر تغميسًا فاذا بك تلمس وجوده الحقيقي في كل ما كتب، وليس له وجود في غير ذلك، متخذًا من شرايين ذاته أقلامًا، ومن دم رغباته حبرًا، فجاء شعره حياة جانبية لعصره، وغير جانبية، لذلك عدّه العصر قطرة كثيفة من الحبر، كما أنّ الحركة الدافعة في الكوكب الذي نعيش عليه، مدّت أناملها إلى ذلك العصر واتخذت منه قطرة، ليكون بدوره للشمس ما كان هو للعصر)) [1] .

لقد دوّن ابن الرومي حياته في شعره وسطّر صوّرها بين طيّات ديوانه، إذ لا نجد له حضورًا في التراجم والأخبار وكتب الأدب كما لسواه من شعراء عصره، فقد ذكر العقاد((أنّ ابن الرومي يعوضنا بعض العوض من ذلك النقص الكبير بخاصية فريدة فيه ليست في غيره من الشعراء هي: مراقبته الشديدة لنفسه، وتسجيله وقائع حياته في شعره)) [2] ، وهكذا فشاعرنا استطاع تحقيق ذاته ووجوده عن طريق شعره الذي جاء ليكشف لنا عن حياته التي مثّلت جانبًا مضيئًا للحقبة العباسية، ومصداق ذلك تنمّر ابن الرومي على نفسه؛ إذ اشتهر بلبسه

(١) ابن الرومي في الصورة والوجود: د. علي شلق: ٨.
(٢) ابن الرومي حياته من شعره: ٦٣.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

للعمامة أينما حل وارتحل، حتى بين أصدقائه المقربين، وصنوه الأدنين، وقد سُئل عن ذلك مرارًا، لم لا تتخفّف بين أصدقائك، والعمامة ليست لأهل طبقتك من الأدباء والشعراء، إنما هي لباس الفقهاء والعلماء، فكان يغضب للسؤال، حتى اضطر في نهاية المطاف إلى الاعتراف بسرّه الذي طالما كتمه أسفل عمامته قائلًا [1] :

تعمَّمتُ إحصاناً لرأسيَ بُرْهةً ... من القرِّ طوراً والحرور إذا سفعْ
فلما دهَى طولُ التعمُّم لمَّتي ... فأزرى بها بعد الجثالة والفَرَعْ
عزمتُ على لُبس العمامةِ حيلةً ... لتستُر ما جرَّتْ عليَّ من الصَّلعْ
فيا لك من جانٍ عليَّ جنايةً ... جعلتُ إليه من جنايته الفزعْ
وأعجِبْ بشيءٍ كان دائي جعلتُه ... دوائي على عمدٍ وأعجب بأن نفعْ

بل نجد ابن الرومي وهو في أسوء حالات الرثاء والنكبة التي ألمّت به نتيجة تكرر المآسي عليه وعدم عتقها إيّاها بعدما توالت الأحزان عليه تترى لفقده الكثير من أحبته وأهل بيته، فكان من نتائج تلك الصدمات الجمّة أن داهمته الشيخوخة باكرًا فأدرك لمّته الشيب والصلع واكفهرّ وجهه وتجهّم، فلم يجد بدًا من أن يتنمّر حتى على نفسه بهذه الكلمات وهو في أحلك اللحظات وأقساها، فيقول [2] :

من كان يبكي الشبابَ من جَزعٍ ... فلستُ أبكي عليه من جزعِ
لأن وجهي بقبح صورته ... ما زال لي كالمشيب والصَّلعِ
أشبَّ ما كنتُ قطُّ أهرمَ ما ... كنتُ، فسبحان خالَقِ البدعِ
إذا أخذتُ المرآة أسْلفني ... وجهي وما مُتُّ هول مطَّلعي
شُغِفْتُ بالخرَّد الحِسان وما ... يصلحُ وجهي إلا لذي ورع
كي يعبدَ اللَه في الفلاة ولا ... يشهدَ فيه مشاهد الجُمع

ومع هذا الدافع-أي الفكاهة والظرف- نجد التنمّر لدى شاعرنا قد اتخذ طابع السخرية والإضحاك الذي نمّاه بالنظر لما يمتلكه من إمكانية بارعة قادرة على استغلال العيوب الخَلقية والخُلقية لضحاياه وصبّها

(١) الديوان: ٢/٣٣٠..
(٢) نفسه: ٢/ ٣٣٥

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

في قالب كاريكاتوري [١] ، من نحو قوله متنمّرًا على أبي سليمان الطنبوري المغنّي [٢] :

أبو سليمان لا ترضى طريقته ... لا في غناء ولا تعليم صبيان
له إذا جاوَب الطنبورَ محتفلًا ... صوتٌ بمصر وضربٌ في خراسان
عواء كلب على أوتارِ مندفةٍ ... في قُبحِ قردٍ وفي استكبار هامانِ
وتحسبُ العينُ فكّيه إذا اختلفا ... عند التنغم فكّي بغلِ طحان

فقد شوّه ابن الرومي صورة هذا المغنّي المسكين حتى مسخه، وليس هناك من داعٍ لهذا التقبيح خلا أنّ صوته لم يعجبه، فأمعن في إبراز مظاهر القبح وتضخيمها متفكّهًا؛ إذ لم يترك جزءًا لدى الطنبوري إلاّ وتناوله بكثير من السخرية، بدءًا من طريقته في الغناء التي لا تصلح حتى في تعليم الصبية فيولّون مذعورين، مرورًا بعزفه النشاز وتفاوت صوته مع عزفه وعدم الانسجام بين ترددات الغناء ونغمات الآلة(الطنبور) فكان تفاوت المسافة الموسيقية بينًا في حدّته بين الصوتين-العزف والغناء-كبعد المسافة بين مصر وخراسان، معرّجًا على غنائه وشكله الخارجي في صورةٍ تركيبية ظريفة قائمة على نباح قردٍ مغترٍ بنفسه كهامان؛ ليبلغ ابن الرومي سيل سخريته المريرة حينما عمد إلى تكريسها في صورة تشبيهية قوامها[بغل طحان]؛ وكأنّما أراد أن يخرس الطنبوري إلى الأبد [٣] ، فجسّمه في صورة بغلٍ قد أتعبه الطحّان في عمله فأصابه السغب، ومن ثمّ فما بالك بالصوت الذي سيصدر من فكي ذاك البغل المتعب الجائع حين الأكل؟!

وفي مواضع كثيرة وجدنا ابن الرومي قد صبّ جام تنمّره على طبقة المغنين [٤] ، ساخرًا في جلّها من أفواههم؛ كون الفم يمثّل موضع الانتباه لدى تلك الطبقة، فيقول واصفًا فم إحدى المغنيات [٥] :

(١) ينظر: العصر العباسي الثاني: ٣١٦/٢.
(٢) الديوان: ٤٥٦/٣.
(٣) ينظر: الشعر وطوابعه الشعبية على مرّ العصور: د.شوقي ضيف: ١٠٢.
(٤) ينظر: الديوان-على سبيل المثال لا الحصر-: ٥٠١/١، ٧٢، ١٠٨، ٣٨٩/٢، ٤٩٩، ٤٥٨/٣، ٥٢١.
(٥) نفسه: ٢١٦/١

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

غنَّت فمسَّ القلبَ كلُّ كرْبِ ... واستوجبتْ منا أليمَ الضربِ
لها فمٌ مثلُ اتِّساعِ الدَّربِ ... وفَقْـ...ـةٌ مشقوقةٌ بالـزُّ [1]
بَقْباقةٌ كبقبقاتِ الحُبِّ ... هدَّارةٌ مثلُ هديرِ النُّجْبِ

شبّه ابن الرومي سعة فم تلك المغنية بصورٍ عديدة منها: كطريقٍ للمارّة تارةً، أو كفوهة الخابية تارة أخرى، وفي التشبيه الأخير عمد إلى اختيار لفظة(بقباته) بادئ الأمر على الرغم من تنافر حروفها كي يصوّر مدى بشاعة اندفاع الموجات الصوتية من فمها، فلم يجد أبلغ من هذه اللفظة التي يتضمّن معناها صورة الانتفاخ وخروج الغازات، ثم عطف على البقبقة بهدير الإبل، وهو صوتها في غير شِقْشِقَةٍ؛ أي من الحنجرة [2] ، ومعلوم ما في ذلك الهدير من صخب وضوضاء تصدره الإبل.

ولم يسلم أرباب اللحى [3] من تنقّر ابن الرومي وسخريته فجعلهم مدار انتقاد محيطهم الاجتماعي واستهجانه؛ لِما صوّره فيهم من حماقة وعدم رجحان عقولهم، من نحو قوله [4] :

ولحيةٍ يحملها مائقٌ ... مثل الشِّراعين إذا أشرعا
تقوده الريح بها صاغرًا ... قودًا عنيفًا يُتعب الأخدعا
فإن عدا والريح في وجهه ... لم ينبعث في وجهه إصبعا
لو غاص في البحر بها غوصةً ... صاد بها حيتانه أجمعا

فشبّه لحية هذا الرجل الأحمق بجانبيها المستعرضين كشراعين، غير أنّهما لا يقويانِ على مساعدته في الإبحار والحركة كشراعي السفينة، بل إنّ ضرّهما أكثر من نفعهما؛ إذ يثقلان حركته ويتعبانه إذا ما واجهته الريح، وعاد ابن الرومي ثانية ليمعن في تنمّره بلحية ذاك المسكين لما جعلها لكثاثتها أشبه ما تكون بشبكة صيدٍ كبيرة، والأولى بصاحبها عدم اعتراض المارّة ومضايقتهم في الطريق لسعة عرضها، والإفادة منها في البحر لصيد الحيتان التي يتعسّر صيدها بالشباك المعروفة [5] .

وتزداد حدّة السخرية المتنمرة لدى ابن الرومي بأحدهم ممن لم يحسنوا العناية بلحاهم المسترسلة نظافةً وترتيبًا، فقال فيه [6] :

إن تَطُل لحيةٌ عليك وتعرض ... فالمخالي معروفة للحميرِ
علَّق الله في عِذاريك مِخْلا ... ةً ولكنها بغير شعيرِ
لو غدا حكمها إليّ لطارت ... في مهبّ الرياح كلَّ مَطيرِ
ألْقِها عنكَ يا طويلةُ أوْلى ... فاحتسبْها شرارةً في السعيرِ

سخرية لاذعة، وتنمّر ما بعده قسوة لمّا أخذ ابن الرومي يشبّه تلك اللحية بمخلاة حمار خالية الوفاض من طعام وماء، وهنا انتفت الحاجة من تعليق هذه المخلاة في عنق الحمار، كحال تلك اللحية التي استطالت من دون فائدة فهبّ شاعرنا ناصحًا إيّاه بحلاقتها.
ثمّ يسترسل ابن الرومي في تنمّره من القصيدة نفسها عن طريق عقد موازنة بين هذا الملتحي، وآخر لا شعر على عارضيه[كوسج]، فيقول:

أيُّما كَوْسَجٍ يراها فيلقَى ... ربه بعدها صحيحَ الضميرِ
هو أحرى بأن يشكَّ ويُغْرَى ... باتهام الحكيم في التقديرِ
ما تلقّاك كوسجٌ قطُّ إلاّ ... جَوَّر الله أيَّما تجويرِ
لحيةٌ أُهمِلتْ فسالت وفاضتْ ... فإليها تُشير كفُّ المشيرِ
ما رأتها عين امرئٍ ما رآها ... قطُّ إلا أهلَّ بالتكبيرِ
روعة تستخفُّه لم يُرَعْها ... من رأى وجهَ مُنكَر ونَكيرِ

فحينما رأى ذلك الكوسج تلك اللحية المستفيضة الطول لدى خدنه شَعَر بعدم الرضا من عدالة الذات الإلهية وجورها في هذا التوزيع؛ إذ غدت في استرسالها الفوضوي-نتيجة إهمالها- آيةً في العُجب والبشاعة في عيون النظارة الذين ما إن رأوها حتى هللوا مكبّرين لبشاعتها التي روّعتهم كأشدّ من روعة الرائي فيما لو أبصر وجه الملكين[منكر ونكير] (٧).

(١) حياءً ومراعاةً للذوق العام عمد البحث إلى حذف بعض حروف المفردات البذيئة في عجز البيت.
(٢) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: مادة(هدر) ٥/ ٢٥٨.
(٣) ينظر: الديوان-على سبيل المثال لا الحصر-: ١/١٠٩، ٢٧٩، ٣١٠، ٢/٢٣، ٨٠، ٣٩٢، ٤٩٩.
(٤) نفسه: ٢/ ٣٩٢.
(٥) ينظر: الشعر وطوابعه الشعبية: ١٠٣
(٦) الديوان: ٢/٢٣.
(٧) ينظر: الشعر وطوابعه الشعبية: ١٠٣، وهجاء اللحى في الشعر العباسي: د. ثائر سمير حسن الشمري: ٨٩.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

الخاتمة

خلص البحث إلى جملة نتائج نوجزها بالآتي:

- لمّا كان ابن الرومي رائد الهجاء الكاريكاتوري في العصر العباسي من دون منازع، فقد انسحبت تلك الريادة إلى صيرورته المتنمّر الأوحد في الشعر العربي قاطبةً؛ إذ وجَدت أسباب التنمّر المتعدّدة وأنماطه المختلفة مجالًا رحبًا وأرضية خصبة في شعره نتيجة الشعور بإهمال المحيط الاجتماعي والنقدي له على السواء وتجاهلهما لشعره؛ فساءت علاقته بذلك المحيط الذي لم يرقب فيه إلًّا ولا ذمّةً.
- انطلاقًا من مقولة شوبنهاور[إنّ الإنسان ذئب على أخيه الإنسان] وعلى الرغم من كينونة الذئبية ليست هي المبتغى أو الغاية بذاتها حتى لدى الذئاب أنفسهم؛ إذ لم يكونوا يفترسون أو يقاتلون إلاّ لكي ينعموا بالسلام، وهو المبتغى عينه الذي كان ينشده ابن الرومي من تنمره، وقد نعطيه العذر في كلّ ما صدر عنه من سخرية ممضّة؛ فالرجل كان يعيش صراعًا محتدمًا بين طمعه في المال، وبين مخاوفه وطيرته الزائدة، ولو قدر لنا البتّ في نتيجة هذا الصراع وأي طرفيه انتصر إن كان هناك منتصر فيهما، وهذا التكافؤ بين المادي[المال]، والمعنوي[التطيّر] هو من أفضى إلى تأجيج نوازع النيل من الآخر-لدى الشاعر-، وعملقة دوافع التنمّر ليس على الآخر فحسب بل انسحب على الذات نفسها، مصطبغةً بلونٍ من السادية المشوبة بالمازوخية.
- كانت الصورة المتنمّرة عند ابن الرومي سريعة التقليب كمزاجه، كثيرة التلوّن، تجمع بين طيّات الصورة الواحدة كثير من العناصر الحسية: اللونية، والحركية، والصوتية، والذوقية، والشمية، فضلًا عن متعلقاتها الخارجية الشكلية التي أتت متوائمة في تلوّنها وتقلّبها مع تطيّره وتقلّبه على ممدوحيه؛ إذ انعكست معطيات هذا الوضع سلبًا على عاطفة ابن الرومي فغدت صلته بأفراد مجتمعه كالزئبق تتأثر بأدنى درجات الغيرة والحسد؛ ومن ثم انسحبت على شخصيته التي اتسمت بشعورها الدائم بالضعف والعجز فإذا لم تنل ما تريده من عطاء

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

انقلبت في لمح البصر هاجيةً ساخرةً متنمّرةً. وهكذا وجدنا القصيدة التنمرية لديه نادرًا ما تخلو من الصدق بشقّيه: الفني والواقعي الأمر الذي مكّنها من الوصول إلى متلقيها بالكيفية الشاعرية ذاتها من حيث مطابقتها لوجدانه ومعبّرة عن مشاعره من غير تكلّف بصرف النظر عن مطابقتها للواقع بكل حيثياته، وهذا هو ديدن رسامي الكاريكاتور.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

المصادر والمرجع

- القرآن الكريم.
- ابن الرومي حياته من شعره: عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة- مصر، ٢٠١٣م.
- ابن الرومي في الصورة والوجود: د. علي شلق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط ٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- الأدب العربي في العصر العباسي: د. ناظم رشيد، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
- أصول علم النفس: د.أحمد عزت الراجح، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط،٧، ١٩٦٨م
- الاضطرابات النفسية(الخوف، القلق، التوتر، الانفصام): د.عبد اللطيف حسين فرج ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة ، ط١، ٢٠٠٩م.
- الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢ م.
- أمراء الشعر العربي في العصر العباسي: أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ٢٠٠٧م.
- تدابير الأخذ في القانون العقوبات وقانون الإجراءات الجزائية فريد راهم، رسالة الماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعه باجي مختار، عنابة، السنة الجامعية، ٢٠٠٥-٢٠٠٦.
- التنمر الاجتماعي(المفهوم والتأسيسات العلمية السوسيولوجية الشارحة): مليكة حاكم، مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد٧، العدد ٢، جوان ٢٠٢٣.
- ثقافة الناقد الادبي: د.محمد النويهي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٤٩م.
- جمع الجواهر: أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري، تحقيق علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٣.
- خصائص رسوم المضطربين بالبارانويا لدى عينة من الجنسين فى مرحلة المراهقة: د. مدحت وليم ينى، جمعية أمسيا (التربية عن

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

طريق الفن)، مديرية الشؤون الاجتماعية بالجيزة، مصر، ٢٠١٩م.
ديوان ابن الرومي: شرح أ. أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ٢٠٠٩م.

- سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- سيكولوجية التنمر بين النظرية والعلاج: مسعد نجاح أبو الديار، ط٢، ٢٠١٢م.
- الشعر وطوابعه الشعبية على مرّ العصور: د.شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٧م.
- العصر العباسي الثاني: د.شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط٢، ١٩٧٣م.
- العمدة في محاسن الشعر: ابن رشيق القيرواني، تحقيق د. عبد\ الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- لسان العرب: جمال الدين ابن منظور المصري، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- هجاء اللحى في الشعر العباسي: د. ثائر سمير حسن الشمري، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد٢٤، كانون أول ٢٠١٥م.
- -Obaid S Hanan. Almusawi A Mohammed Azyyadi H,(2023), E-learning after the corona pandemic – strategic necessity and adevelopment alternative, INTERNATIONAL MINNESOTA JOURNAL OF ACADEMIC STUDIES, (ISSUE:1), (VOL: 3), ,Pp:37-15.
- -Obaid S Hanan.(2021). Aprospective study of future academic skills of basic education leaders as a resident supervisor in light of corona pandemic.(ISSUE:43),BOHOUTH MAGAZINE,Pp:32-21

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا

Islamic University of Minnesota

المركز الرئيسي IUM